تجربة العراق وثقافة الامل الجديدة في الشرق الاوسط

* روجر كوهين

سقط جدار برلين الشرق الاوسط، فالديمقراطية تتقدم بإطراد في بلدان عدة، من العراق إلى مصر، والطموح السياسي يحل محل "نداء الاستشهاد"، والتظاهرات الجماهيرية تدفع بالقوات السورية خارج لبنان، أي ان ثقافة الامل تحل الان محل ثقافة الموت.

يبدو ذلك جيداً، اليس كذلك؟ هناك وجهة نظر اخرى، ان الغزو الاميركي للعراق قد شجع على التطوع في صفوف القاعدة، والجماعات الجهادية الأخرى، وزاد من كراهية المسلمين للغرب، وحقن منطقة مضطربة بحالة عدم استقرار خطيرة ومنح الانتحاريين سبباً جديداً لتحمسهم.

ويمكن الاتيان بحجة مقنعة لكل رؤية إلى اقليم ميزه لزمن طويل القصور الذاتي وليس التغيير.

وما لا يمكن انكاره، على كل حال، ان الشرق الاوسط دخل الان عهد الحركة، اما اين سينتهي هذا الجريان فامر غير واضح، لكن المارد خارج الزجاجة الآن، ولن يعيده احد اليها.

يقول مرهف جويجاتي، وهو عالم سياسي سوري المولد يعمل الان مديراً للدراسات الشرق أوسطية بجامعة جورج واشنطن: "لقد بدأ حاجز الخوف يتحطم. وهو خوف عميق الجذور. فقد ربي الناس على عدم التدخل في السياسة أو قول الامور المناسبة للحفاظ على الامتيازات المادية".

وحين سئل جويجاتي عن السبب في ان الخوف الذي هو عزاء اية دولة تسلطية آخذ في الانحلال، ذكر عدة عوامل، منها:

مشهد العراقيين، والفلسطينيين و هم يذهبون للانتخاب، والمثال الذي قدمه الاوكرانيون لما يمكن ان تحققه التظاهرات السلمية، وانتشار الفضائيات التي تبعث بمثل هذه الصور إلى داخل البيوت من القاهرة إلى دمشق، وبزوغ الوعي بان الامكانيات السياسية موجودة حقا، وقد هز الرئيس بوش الوضع الراهن، كما قال جويجاتي، هز اللامبالاة، إن اللحظة الراهنة مائعة الآن.

هكذا هو الامر بالتأكيد، فلو قدر لياسر عرفات ان يعود للحظة من العالم الاخر ليشاهد التظاهرات الضخمة في شوارع بيروت ضد الوجود العسكري السوري، والعربية السعودية ومصر تقولان للسوريين ان ينسحبوا، والعراقيين المنتخبين يناقشون تشكيل حكومة ائتلاف عريض، والرئيس المصري حسني مبارك يدعو إلى اصلاح للدستور يسمح بمرشحين متعددين للرئاسة" وبذلك يستطيع الشعب ان يقوم باختيارحر بينهم"، وخلفه هو، كقائد للشعب الفلسطيني، محمود عباس، في حديث مباشر مع رئيس الوزراء الاسرائيلي اريل شارون، فانه سيفرك عينيه غير مصدق ما يرى.

وعرفات مات قبل ستة عشر اسبوعا فقط!

فما حدث منذ ذلك الحين هو ان معركة محورية مؤجلة طويلاً قد جرى خوضها تماماً. فلسنين عديدة، طرحت الاسلاموية الاصولية نفسها كملاذ للمحبطين في منطقة كان غياب الديمقراطية مسموحاً به، أو مدعوماً، في بعض الحالات، من الولايات المتحدة.

وكانت قد ساهمت في هذه الموضة، بدرجات متفاوتة، امور عدة مثل الثورة الايرانية، والنجاحات الجهادية في افغانستان، وبروز اسامة بن لادن هناك، وتعاليم رجال مناوئين للغرب مثل الكاتب المصري المعدوم سيد قطب، ونفاق الغرب القائل انذاك بان الديمقراطية ليست لبلدان مثل الجزائر ومصر.

غير ان ذلك العهد انقضى الان. فقد غير بوش السياسة الاميركية، مبيناً للجميع ان الدفع نحو مجتمعات حرة لن يعود ذلك النوع الانتقائي الذي يغض الطرف عن حكام من امثال مبارك والاسرة المالكة السعودية. ويبدو انه جاد في ذلك.

لقد تقوض الان النموذج الافغاني للمجتمع الاسلاموي الاصولي، واتى غزو العراق إلى قلب العالم العربي بنموذج. لا يزال يقاوم بمرارة. لمجتمع ليبرالي وديمقراطي جداً بغيض للغاية على نفوس الجهاديين المنكبين على اعادة تأسيس الخلافة.

فالديمقراطية الان لم تعد فكرة مجردة، دمية اضحاك تلوح بها على نحو انتقائي قوى عظمى ذات مصالح أكثر الزاماً من المثل العليا.

وقد صرح باتريك كلوسون، نائب مدير معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، قائلا: " ان الخطاب يتغير اليوم في العالم العربي. فاذا ما اردت ان تتبنى قضية راديكالية، فان الاسلاموية لم تعد الجواب الوحيد. ويمكنك ان تذهب لتلتحق بأولئك الـ ٥٠٠ متظاهر من اجل الديمقراطية الذين احاط بهم ٣٠٠٠ شرطي في شوارع القاهرة".

وبالطبع، إذا كنت غاضباً تماماً، فان بأمكانك أيضاً ان تفجر اولادا في حانة رقص بتل ابيب، أو ان تندفع بسيارة ملغمة بالمتفجرات وسط متطوعين للشرطة في العراق، أو ان تقتل قاضياً يتهيأ لادارة محاكمات ازلام صدام. وهناك وفرة من العرب لا تزال مستعدة للقيام بهذا خدمة لوفرة من القضايا: الاصولية الاسلاموية المتعصبة، القومية المناوئة للامبريالية، معاداة الصهيونية، أو لمجرد الدفاع عن الامتيازات المتعرضة للتهديد.

فأية قوة اخرى؟ الديمقراطية الليبرالية الغربية المقدمة بتماسك واصرار جديد من بوش؟ ام هذه المقاومة الرؤيوية المعادية للتحديث باسم الله والعروبوية؟

يعتقد كلوسون بان من المبكر جداً الاجابة عن ذلك، قائلا: " ليس هناك من مجال للشك في ان بوش يتبع سياسة حالمة. لكن هل هو مفتون ام انه على حق؟ لقد تولى القيام بمغامرة أو مقامرة جريئة في تحويل الشرق الاوسط وهو امر يحتمل ان يفلح".

لقد مر شهران، حين كنت جالساً في مكتب بغزة عند مشهد جميل من مشاهد البحر الابيض المتوسط، مصغياً لعالم النفس الفلسطيني، الدكتور اياد سراج، وهو يفسر ثقافة الاستشهاد. كيف ان الخزي يحول إلى شرف من خلال التضحية بالنفس والهزيمة يقهرها اتخاذ" القوة المطلقة، قوة القتل" وكيف ان الشهداء كانوا بمستوى الانبياء، وهكذا لا يمكن مساءلتهم " بالرغم من ان افعالهم مدمرة لنا من الناحية السياسية".

لقد كانت هذه الثقافة هي التي شجع عليها عرفات، ثقافة اليأس، التضحية، الانتصار فقط في الموت. وكان، في قيامه بهذا، ممثلاً لمنطقته، كان دكتاتوراً يقدم مهرباً واحداً فقط: العالم الاخر.

قال سراج: " كان عرفات لا يمكن مسه، اما محمود عباس فكائن بشري مثلنا. وهو يقوم باعادتنا إلى الواقع، وراء نطاق البلاغة والشعارات. وآمل ان نحقق الان الواقعية والبراغماتية".

والديمقراطية هي كل ما تعنيه الواقعية والبراغماتية. وذلك هو ما يكتشفه العراقيون اليوم وهم يحاولون تشكيل حكومة لهم. ويمكن لتجربتهم هذه ان تكون قابلة للتأثير والانتشار.

هكذا تبدو هي الحال الان. في الأقل

ترجمة: عادل العامل

عن: انترنشنال هيرالد تريبون

الوجه الفضي للحرب

علينا ان نواجه الحقيقة التي ترى ان الهجوم على العراق ولد نزوعاً شديداً لاحلال الديمقراطية في الشرق الاوسط

بقلم / جوناثان فريلاند

بالكاد لم تبد الخيلاء على توني بلير الذي فضل ان يبدو كريماً ذا شهامة فيما يأمل انه نصر، وذلك في المقابلة التي اجرتها معه صحيفتنا "الغارديان" يوم الاول من اذار اذ كانت لديه فرصة كبيرة للتبجح فقد كان يتحدث عن "تموجات التغيير الخفيفة" التي تتحرك الان في الشرق الاوسط منتشرة ببطء ولكن بصورة يمكن ملاحظتها نحو الديمقراطية في منطقة ظلت طويلاً بعيدة عن هذا الاهتمام.

وقد سألته ان كان تغيير النظام في العراق هو الحصاة التي القيت في الماء فخلقت هذه "التموجات" وكان بامكانه ان يقول نعم وان يصر على ان الحوادث التي حدثت بعد حرب ٢٠٠٣ تدل على ان موقفه كان صحيحاً وان موقف الذين عارضوا الحرب كان خطأ فادحاً لكنه بدلاً من ذلك تفادى الموضوع العراقي بصورة كاملة ولعله كان كارهاً لاثارة النقاش الذي اغلق اما لان الشلل اصاب فترة رئاسته الثانية للوزارة او لانه يحسب ان المهم هو الحفاظ على التغييرات الديمقراطية الجارية في المنطقة لان الذين يعارضون اللاحق من الحكام قد يستجمعون قواهم لنصرة السابق. ولو اراد توني بلير ان يتباهى ويدعي ان المنفعة من ازاحة صدام حسين هي اطلاق سلسلة من ردود الافعال الحميدة فان لديه ما يكفي ليستعين به .

ان الكثير من احداث الصراع الراهن تشبه ازدهار شجرة الارز التي اصبحت رمز الثورة- فتظاهرات جموع القوى الشعبية في شوارع بيروت في ك١ الماضي للتغني بالثورة البرتقالية في كييف بعد ما يقارب من ثلاثة عقود من العيش تحت الوصاية السورية وعشرين سنة من الاحتلال العسكري وقد اندفع عشرات الالاف الى الشوارع وهم يلوحون بالاعلام اللبنانية توحدهم الرغبة في ان يحزم السوريون حقائبهم وهم يعبرون عن الثورة بالرقص فيقيمون الحواجز ويلوحون بالاعلام ولديهم الان شهيد بحجم رفيق الحريري رئيس الوزراء السابق الذي الهب اغتياله حالة عدم الاستقرار الراهنة علماً ان الحريري كان قد نادى وبأعلى صوته مطالباً السوريين بالرحيل ولذا فان الكثير من اللبنانيين وغيرهم يعتقدون بان اغتياله كان عقوبة دمشق على ما صدر منه وقد اطاح المحتجون بالحكومة التي نصبتها سوريا ويبدو انهم ماضون لحين تلبية مطالبهم بالسيادة على ارضهم ومن المحذور القول ان هذه الحركة تعكس كامل الشعب اللبناني المتنوع الطوائف.

وفي كل الاحوال فإن تموجات التغيير هادئة ولكن ذلك لا يعني انها عديمة الاهمية ، ففي مصر ادهش حسني مبارك شعبه حين اعلن في نهاية الاسبوع ان انتخابات رئاسية ستجرى في نهاية هذا العام، وهذه الانتخابات ليس لها سوى اسم واحد هو رقعة السماح وهذه الانتخابات المتعددة الترشيحات هي مجرد وعد اما انها ستكون حرة ونزيهة فذلك موضع شك وذلك ينعكس وبصورة مساوية على العربية السعودية فمن الصعوبة الوثوق بالانتخابات التي جرت هذا العام والوعد باشراك النساء في الانتخابات ليس الان بل في المستقبل وقد قبلت بريطانيا والولايات المتحدة بالقرار الليبي بترك محاولات بناء اسلحة تدمير شامل وكذلك الوعد الايراني بتأجيل تخصيب اليورانيوم، ولكن ذلك لا يعني ان هذه الدول قد غيرت تفكيرها ولكنها لا تريد ان تقوم امريكا "بنزع" ظهورهم.

والفوز الكبير الذي كان رئيس الوزراء متلهفاً جداً كي يتفاخر بذكائه حوله في مؤتمر لندن يوم ١/ اذار كان هو التقدم في الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي بعد اربع سنوات من الجمود في المفاوضات لان الفلسطينيين يقودهم الان رجل يصف من يقتل المدنيين الاسرائيليين ، ب: الارهابيين، وهو مصمم على فرض النظام على البيت الفلسطيني، في الوقت نفسه فان الاسرائيليين يقودهم الان رجل، مهما كان ماضيه، فإنه يجازف بحياته من اجل الخروج من الاراضي الفلسطينية، ان الشراكة بين ابي مازن الذي قبل بجدول للاصلاحات التي طلب منه القيام بها امس وبين اريل شارون المصمم على الانسحاب من غزة حتى في حال تعرضه للتهديد بالقتل قد أوجدت وضعاً اكثر اشراقاً لشعبيهما.

ومن الطبيعي ان هكذا تطورات ايجابية اصول و(دينامية) خاصة بها، فمنذ الحرب على العراق وسوريا تحاول ان تنتظم مع مسار الثورة اللبنانية حين غيرت في العالم الماضي الدستور لابقاء الرئيس المنتهية ولايته والمرشح من سوريا في مكانه واذا لم يكن هذا التحرش باللبنانيين كافيا فان قتل الحريري في قلب بيروت وفي وضح النهار، ربما سيكون القشة الاخيرة التي تكسر ظهر البعير، ومن الحق ايضا القول ان الحكومات الخليجية شرعت ببعض الاصلاحات غير الجذرية وكانت السعودية من ضمن هذه الدول وهي قليلة التطرق الى الحرب على العراق قياساً الى الفترة التي اعقبت "خبطة" امريكا المرعبة في ١١/ ٩ على يد اسلاميين متطرفين من شرقهم الاوسط، وقد حدث التغيير الاساس في العلاقة بين فلسطين- اسرائيل بموت ياسر عرفات مما سبب انفتاحاً في الجانب الفلسطيني وقد وافقت اسرائيل الصواب عندما ادركت ان ابقاء الأراضي الفلسطينية هو مخاطرة لانه سيهجن العنصر السكاني في اسرائيل اذ سيغير فرصة بقائها يهودية خالصة عدا هؤلاء الذين سيفعلون أي شيء مشابه للانفجارات في بغداد.

وعلى كل حال فلا يمكن التهرب من حقيقة ان الولايات المتحدة التي قادت الهجوم على العراق قد غيرت معادلات التفاضل في المنطقة، فالمحتجون اللبنانيون قد تشجعوا بالتأكيد بمعرفتهم بمقدار الضغط الكبير الذي تقوم به امريكا وفرنسا على سوريا لسحب قواتها، والضغط على سوريا يحمل في ثناياه "لدغة اضافية" لان الاشارات الدبلوماسية الاخيرة بما فيها ملاحظة بلير امس عندما قال انه كانت لسوريا فرصة ولكنها فشلت في الحصول عليها وتصريح كوندوليزا رايس ان هذا البلد خارج المسار الذي تسير عليه المنطقة، تترجم الى "انك ستكون التالي" وهذا مشابه عند التفكير بقرارات ايران وليبيا عن اسلحة الدمار الشامل وبالانتخابات في السعودية ومصر، ومع هذا وببساطة فان الرئيس بوش يبدو وكأنه الرجل الذي سيقوم بمهمة نشر ما يسميه هو "جذوة الحرية التي لن تنطفئ" والقادة العرب لا يريدون ان يحترقوا وهذا ما سيجعل الذين عارضوا الحرب على العراق كأنهم مجموعة غشاشين حتى لو لم يرد رئيس الوزراء ان يمسح وجوهنا بهذه الحقيقة فإننا لم نقحم انفسنا بمغامرة عسكرية فقط وهي مغامرة تبدو ولو بصورة غير مباشرة قد اشعلت سلسلة من التأثيرات الجانبية الكامنة والمرحب بها ولكننا نعارض وجهة نظر بوش التي تبناها العالم، فماذا نقول الان؟

اولاً: ينبغي ان نعترف بان الغيمة السوداء للحرب على العراق كانت بطانتها من فضة، ولكننا مازلنا نرى ان الحرب كانت عناداً وكانت غير شرعية وخداعاً كلف الكثير من ارواح الناس، حتى مردودها المهم الذي هو تنحية صدام كان يمكن تحقيقه بوسائل اخرى واننا سوف نقبل ان هذه الحرب كان لها مردود ايجابي واحد.

ثانياً: يجب علينا القول ان الدعوة للديمقراطية في العالمين الغربي والاسلامي هي مجرد صوت منفرد حتى ان كانت صدى لشعار بوش في تنصيب انظمة طيعة، وبالمقابل فإننا - وباصرار- لا نريد ان نسقط في فخ معاداة الديمقراطية في الشرق الاوسط لان بوش وبلير قاما بالدعوة اليها فأحياناً لا يكون عدو عدوك صديقاً لك.

عن: الغارديان

ترجمة: عبد علي سلمان

التناقضات الامريكية

في الدعوة الى الحرية والديمقراطية

*تعليق: دانيل شيشكيفيتس

تصدر وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن سنويا تقريرا شاملا عن وضع حقوق الانسان في العالم. تقرير يساهم في إعداده منظمات غير حكومية ويوضع كمعلومات اساسية تحت تصرف اعضاء الكونغرس الامريكي للمساعدة في بلورة القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية. ويعتبر التقرير هذا من الوثائق المهمة التي تسلط الاضواء على اوضاع تلك الدول التي تنعدم فيها حرية الصحافة والشفافية في مجال سياسة حقوق الانسان.

تقرير هذا العام اخذ اهمية استثنائية وذلك لان الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش وضع قضيتي الديمقراطية وحقوق الانسان في جوهر سياسته الخارجية. وندد تقرير عام ٢٠٠٤ بالدول المعروفة بخروقاتها لحقوق الانسان وهي حسب الرؤية الامريكية: ايران وسوريا وكوريا الشمالية وبورما والصين اضافة الى زيمبابوي وروسيا والمملكة العربية السعودية. والاشارة الى السعودية تفسر عدم استعداد الولايات المتحدة غض النظر عن حلفائها التقليديين من مسؤولية خرق حقوق الانسان حفاظا على امتيازاتها الاستراتيجية. وهذا الامر يخص الحلفاء في اسيا الوسطى ايضا كاوزبيكستان اوحكومة مشرف العسكرية في باكستان. لكن الديمقراطية لايمكن فرضها باوامر من الخارج وهو امر يعترف به حتى اعضاء الادارة الامريكية طوعيا.

من جانب آخر يمكن دعم القوى المحبة للسلام في الدول ذات الانظمة الشمولية والتي تعاني من وطأة التعسف والاضطهاد. هذه الرسالة التضامنية لايمكن ان تكون مجردة من مضمون فعلي. وياخذ وضع حقوق الانسان مداه ايضا في مجال سياسة التعاون الانمائي. في هذا السياق تميز الولايات المتحدة بين الدول التي تحترم او لاتحترم حقوق الانسان. وهنا لابد من الاشارة الى ان انتهاج سياسة بناءة تساعد احيانا على اطلاق عملية تغيير في الدول ذات الانظمة الشمولية. وخير مثال على ذلك سياسة البروسترويكا في الاتحاد السوفيتي السابق التي نجحت وساهمت في احراز انعطاف تاريخي في اوروبا بفضل سياسة الانفراج التي انتهجها الغرب انذاك.

من الطبيعي ان نشير الى اننا لانكتب العام ١٩٧٥وانما عام ,٢٠٠٥ وهنا تاتي افرازات احداث ايلول سبتمبر من عام ٢٠٠١ والتي حددت و السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

خلاصة القول إن اجواء الثقة والجلوس على طاولة المفاوضات لاتعطي الشرعية فقط وانما تساهم ايضا في تقليص الشكوك والريبة المتبادلة. وفي اجواء من الثقة بين ايران والولايات المتحدة كان من الممكن ان يسهل عملية الرقابة على البرنامج النووي الايراني من جانب ومن جانب آخر كان يصعب على نظام الملالي توجيه الضربات الى المعارضة الايرانية. وختاما لابد من الاشارة الى ان سجل الولايات المتحدة في مجال حقوق الانسان في عام ٢٠٠٤ قد تضمنا قولا معروفا مفاده (من كان بيته من زجاج لايرمي الاخرين بالحجر). الولايات المتحدة فضحت نفسها عندما تم الكشف عن ممارسات الجنود الامريكيين في سجن ابو غريب في العراق كما في الوضع غير القانوني لسجناء غوانتانامو. فحتى الدول الديمقراطية غير محمية من خروقات حقوق الانسان.

ترجمة: حسن حسين

*المحرر المختص في هيئة التحرير المركزية في إذاعة الدويتشه فيلّه.